كلمة من المؤلف

ولم ارَ كامرئٍ يرنو لضيم لهُ في الارض سيرٌ وانتواء
وما بعض الاقامة في ديارٍ يهان بها الفتى الا عناء

قضي عليَّ ان أُولد في المملكة العثمانية من والدين عثمانيين لحكمة لستُ ادرك غايتها كما قضي على سائر العثمانيين ان يصيروا الى حالة سقوطهم الحاضرة . فلا هم في مقدمات الامم المتمدنة ولا هم في أُخرياتها

يعجزون بعجز حكومتهم وظلمها عن ادراك شأو سواهم ثم لايمكن ان يقال عنهم انهم في حالة الخمول لانهم مع كل التضييق الحاصل لهم قد تقدموا خطوة مهمة في العلم والمدنية

اما انا فتوالت عليَّ النكبات فاول مصيبة أُصبتُ بها انني ولدت في بيروت فصرت بحق مولدي وليس بارادتي من رعايا الحكومة العثمانية وهذه انكى المصائب وأُولاها

والنكبة الثانية ان اهلي ارسلوني الى المدارس حيث تلقيت شيئاً من العلم فاصبحت في علمي استحق ان يشفق عليَّ الجاهل وصرت امثل بقول الشاعر

من لي بعيش الاغبياء فانه . لاعيش الاَّ عيش من لم يعلم

والنكبة الثالثة انني تعلمت اللغة الانكليزية بنوع خاص فاصبحت لا اقوى على احتمال الخمول وانا اقراء جرائد اوربا ومؤلفاتها واغذّي عقلي بمباديء التقدم والحرية . وهكذا تولدت فيَّ الاميال الى نصرة الحق والرغبة في مقاومة الظلم ولو كان في ذلك هدر دمي

والنكبة الرابعة — انني بعد خروجي من المدرسة عهد اليَّ بتحرير جريدة

Digitized by Google

لسان الحال فلبثت في ذلك العمل مدة ٨ سنوات وامسكت زمام الرأي العام كلّ تلك المدة الاّ انني لم اقدر ان استعمل حريتي في ادارته . فكنتُ كمن وضعتَ امامه الحلوى وهو مغرم بأكلها ثم منعته عن ان يمسها بيده . وادركت من مطالعة الصحف الاوربية منزلة الحرية ومقام الاخباري ولكنني لم اقدر ان استعمل شيئاً من ذلك فكنتُ على حد قول الشاعر

القاهُ في اليمّ مكتوفاً وقالَ لهُ . اياك اياك ان تبتلّ بالماء

والنكبة الخامسة انني رحلت الى اوربا فزرت ايطاليا وفرنسا واقمتُ في انكلترا نحو عامين اقرأ جرائدها واجتمع على رجال الصحافة وارباب السياسة فيها واحضر جلسات البرلمان ومجتمعات الادباء واسمع خطب الخطباء فقويت فيّ اميالي الى الحرية وزدت تقديراً لمقام هذه الالهة العصرية

والنكبة السادسة والاخيرة انني اضطررت حفظاً لمصالح سواي ان اهجر بلاد الحرية واعود الى بيروت فعدت الى تحرير لسان الحال تحت ضغط المكتوبجي وظلم الحكومة بعد ان ذقت حلاوة الحرية

وسبب جميع هذه المصائب والنكبات هو وجود المراقبة على جرائد تركيا عموماً وجرائد سوريا خصوصاً لان الحكومة العثمانية اختارت وضع مراقبة صارمة على الجرائد فقيدت العقول وارادت من ذلك ان تقتل الافهام كما تقتل الاجسام في هذه الايام مما سيرد تفصيله في هذا الكتاب ليعلم القراء الى اية حالة وصلت حرية الاقلام في بلادالدولة العثمانية و يقيسوا التأخر في هذا الباب على غيره من سائر اسباب التمدن والترقي . وقد اجبت اليوم اقتراح عدد من الادباء الذين سألوني وضع كتاب في اخبار المكتوبجي

Digitized by Google

علماً بانني جهينة اخباره لانني احتملت مظالمه عدة سنوات وعند جهينة الخبر اليقين

سليم سركيس

مصر القاهرة في ٢٥ افريل سنة ١٨٩٦

اهداء الكتاب

﴿ الى جلالة السلطان عبد الحميد الاعظم ﴾

مولاي

يسوءني انني من جملة رعاياك لانه يسوءني ان اكون عبداً . وانت عوّدتنا انك تعتبر الرعية في منزلة عبيد لك بدلاً من ان تتبع الحقيقة وهي ان تكون عبداً لنا . ولما كنت لا استطيع التخلص من هذه التابعية فعلى الاقل احاول ان أعلن للناس انني عبدك رغماً عني وهذا كل ما استطيع ان افعله الآن

لكن كما ان الدول المتمدنة قد ألغت الاسترقاق والنخاسة واعطت العبيد السود حريتهم كذلك قدّر الله العليّ الحكيم ان اخرج من مملكتك وان اقيم في حمى حكومة مصر العادلة . فمن هذا القطر الذي اصبح سعيداً من يوم تقلص ظل نفوذك عليه اعرض لمسامعك الشاهانية ما اشكوه اناويشكوه سائر رصفائي في تركيا من السياسة الخرقاء التي تبعتها جلالتك . واصرح لك غير خائف ولا وجلٍ بانك في سياستك هذه تسوق بلادك ورعيتك الى خراب عاجل وسقوط سريع

ان ترقيك يامولاي الى عرش اجدادك قد اوجد عدة ضربات اصيبت

Digitized by Google

بها الدولة العثمانية ومن جملة تلك الضربات قتل العقول الامر الذى تفرّدت فيه عن سواك من السلاطين

انت تدري يامولاي مقدار خوفك على حياتك حتى انك حصنت قصرك وجمعت من حولك الرجال بالسلاح. كل ذلك حرصاً على حياتك وانت فرد من الناس فكم بالحري يليق بنا نحن الامة باسرها ان نحرص ايضاً على عقولنا وان ندافع عنها وهي اشرف ما وهبه لنا الله تعالى

فان كنا لانقوى الآن على مقاومتك بالقوة فاننا نحاول مقاومتك بالبرهان. فان لم تصغ اليوم لاصوات عقولنا اضطرك الاهمال يوماً ما الى الاصغاء لصوت جهوري هو صوت الشعب والعياذ بالله من الشعب اذا اتحد واتفق واراد ان يدرك غاية شريفة معلومة فيها خيره فان السلاطين لا تكون امام ذلك البحر الزاخر والتيار القوي الا

كريشة في مهب الريح خافقة لا يستقر لها حال من القلق

فاشفق يا مولاي على نفسك من ذلك اليوم الرهيب

واني ادوّن في هذا الكتاب بعض المساوي الحاصلة وارفعها هدية الى معاليك لعل وصف اعمالك الظالمة وعمالك الادنياء يؤثر عليك اذا تمثل لعينيك في كتاب على حدة سينتشر بين الناس في عدة لغات فاقبله غير مامور والامر والفرمان لولي النعم

المؤلف

Digitized by Google

فائدة من خبير

لا يقرأها الاّ المصريّ

ربما يظن بعض اخواني من اهالي مصر ان في ماساورده في هذا الكتاب بعض مبالغة ولذلك فانني انشر هنا رسالة وردت اليّ من حضرة الكاتب الفاضل كليانتس افندي فيليبيذس الخبير باحوال الاستانة ومعلوم ان حضرته رافق سمو الخديوي في زيارته الاولى الى الاستانة فاخباره تؤخذ عن ثقة ان شاء الله قال

صديقي محرر المشير الفاضل

اطلعت على ما نشرتموه في جريدتكم الزاهرة عدد ٧٩ بتاريخ ١٨ افريل سنة ٩٦ من انكم قد عقدتم النية على طبع كتاب يتضمن اخبار ضغط الحكومة التركية على جرائدها وسائر مطبوعاتها مخصصين في ذلك اعمال مكتوبجي ولاية بيروت فرأيت من المستطاب ان ابعث اليكم بنبذة تقوم مقام مقدمة لهذا التاليف الجديد عن مراقبة المطبوعات عموماً والجرائد خصوصاً في قاعدة السلطنة التركية رجاء ان تأتي فذلكتي هذه ببعض الفائدة لكثيرين من المصريين خصوصاً وغيرهم من العرب عموماً الذين ما زالوا للآن يعتقدون خلاف الواقع و يكابرون في الضلالة عن تعصب اعمى وجهل اظلم من الليل الحالك فلا يصدقون الحقائق عما هو جارٍ للآن من المظالم وشدة النير الضاغط على رقاب الرعية عموماً والكتبة الاحرار خصوصاً في ايام الحكومة الحاضرة وهم لا يخدعون الا انفسهم

لما زار حضرة صاحب السمو خديوي مصر عباس الثاني المرّة الاولى القسطنطينية سنة ١٨٩٣ وصل اليها نحو الساعة الحاديه عشرة صباحاً من نهار

الاثنين فاعلنت الجرائد الغير التركية التي تصدر بين الساعة الثالثة والرابعة بعد الظهر وصول سموه الى عاصمة بلاد الترك ومن هذه الجرائد المهمة جريدة اللوانت هرالد وهي انكليزية النزعة والثانية الاوريانتال ادفرتيزر او المونيتور اوريانتال وسياستها روسية فنشرت هذه الاخيرة جملة افتتاحية من الطف ما يكتب ترحب بالضيف العظيم واثنت فيها ثناءً جميلا يستطاب عند اهل الذوق السليم مبتدئة من رأس العائلة المغفور لهُ محمد علي باشا ذاكرةً اجمالاً اعماله العظيمة واعمال انجاله واحفاده الذين تولوا من بعده الاريكة المصرية منتهية بما كان معروفاً عن اميال وعواطف وذكاء الامير المالك حالاً . وكان لهذه الجملة التي نشرتها المونيتور اوريانتال رنة في افئدة كل الذين طالعوها يومئذ من الاتراك اصحاب الذوق السليم وخصوصاً الاحرار وكذلك عند الافرنج الكثيرين واليونان الذين لا يقل عددهم الا قليلا عن عدد الاتراك في تلك العاصمة . ومعلوم انه لا يمكن طبع شيء او نشره هناك قبل ان يمر اولا على اعين اقلام المراقبة وكان في رئاسة مراقبة المطبوعات الافرنجية اذ ذاك عطوفتلو ماجد باشا وهو حفيد المرحوم فؤاد باشا السياسي الشهير فقرأ الجملة التي نحن في صددها قبل الطبع ولم يخطر على باله ان نشر بعد سطور فيها ترحب وثناء على حضرة صاحب السمو امير مصر وآبائه واجداده الكرام يحرك غيظ السلطان ويستوجب غضبه . فلم يمنع نشرها وهكذا صدرت الجريدة الساعة الثالثة بعد الظهر مصدرة بكلام احلى من الشهد لكل محب لمصر ولسمو خديويها وللعائلة المحمدية العلوية وتناقلتها السن اهل الاستانة وتاقت نفوسهم الى مشاهدة الخديوي الشاب على أثر ما طالعوه

Digitized by Google

عن عزة نفسه وعواطفه الشريفة واستعداداته العظيمة واما السلطان فساءه جدًا ولم تأتِ الساعة الخامسة حتى اصدر ارادته بعزل ماجد باشا المشلراليه فكدر ذلك العدد العديد من سكان الاستانة الذين عرفوا حضرته وما هو عليه من اللطف والانسانية مع شرف الاصل ولكن لم يعرف الا الافراد اسباب عزله وقد كتم ذلك عن السواد الاعظم من كبار الناس. انتهى

حلوان في مارس سنة ٩٦

ما هو المكتوبجي

ان مكتوبجي ولاية بيروت اليوم هو سعادتلو عبد الله افندي نجيب ولكنه ليس وحده المقصود في هذا الكتاب وانما استعملت اسم المكتوبجي لانه اصبح من الأوضاع العصرية لمراقب الجرائد مع ان المكتوبجي في حقيقة معناه وطبيعته الاصلية لا علاقة له بالجرائد وانما هو سكرتير الوالي ولكل ولاية من الممالك العثمانية مكتوبجي خاص. لكن الحكومة العثمانية اختارت ان تعهد الى مكتوبجي ولاية بيروت امر مراقبة الجرائد فاصبح اسم الرجل معروفًا بمراقبته للجرائد اكثر من كونه كاتم اسرار الولاية.

حرية الجرائد

(وكيف بدأت المراقبة)

كانت سوريا اقدم مكان ظهرت فيه الجرائد السياسية والعلمية في المملكة العثمانية ولا تزال حتى الآن كثيرة فيها تزيد على امثالها من الولايات

Digitized by Google

بكثير من الجرائد . وقد كانت الحرية مطلقة لجرائد بيروت من اول نشأتها لا مراقبة عليها ولا سيطرة يلجاء اليها المظلوم ويخافها الظالم حتى لقد بلغ من الجنة والجنان للمرحوم المعلم بطرس البستاني ومن لسان الحال في اوائل نشأته انها كانت تكتب بحرية لا تقل عن الحرية التي نتمتّع بها الآن في مصر . وكانت مصر تلجاء الى سوريا وتنشر على صفحات جرائدها شكوى اهاليها كما يتضح للقاري من مراجعة ما كتبه المرحوم اديب اسحق في جريدته الباريزية اذ نقل عن المصباح الذي يصدر في بيروت رسالة ملؤها حرية . ودامت جرائد سوريا على هذه الحالة من الراحة والهناء والتمتع باحسن مزايا الاخباري الى ان رأت الحكومه العثمانية ضعفها هي وتقدم الشعب السوري وكثرة جرائده وميله الى المطالبة بحقوقه على صفحاتها . ومعلوم ان للحكومة العثمانية قوانين معلومة منشورة في الدستور الهمايوني وفي جملتها قانون المطبوعات الذي يجب ان تجري عليه الجرائد وفيه تحديد الحرية المعتدلة التي هي ملاك السعادة والعقاب الذي ينال من يخالف ذلك القانون شان سائر الحكومات المتمدنة . وكانت الجرائد خاضعة لذلك القانون تبدي افكارها بحرية تامة متجنبة كل ما يكدر الحكومة . حتى اذا كان عام ١٨٧٧ جعل سعادتلو خليل افندي الخوري صاحب جريدة حديقة الاخبار مديراً لمطبوعات سوريا فاذا نشرت احدى الجرائد ما تظن الحكومة انه غير مناسب ارسل المدير تذكرة تسمى اخطاراً وهذه نصها

الى صاحب امتياز الجريدة الفلانية

من حيث ان جريدتكم قد نشرت في عدد كذا مقالة مخالفة للرضى العالي فقد اوجبت (تخذيش الاذهان) فاقتضى اخطاركم انكم اذا عدتم الى مثل ذلك تجري بحقكم المعاملات القانونية

وكانت المعاملة في في ذلك الحين ان الجريدة التي تخطر ثلاثا على هذه الكيفية يصدر الامر بتعطيلها لمدة معينة ثم في سنة ١٨٨٥ توفى والي بيروت في ذلك الحين وبعد ايام وردت الاخبار التلغرافيه ان قد عين دولتلو رائف باشا وزير النافعة واليا على بيروت وكنت اذ ذاك احرّر جريدة لسان الحال وكنا نعلم ان رائف باشا المشار اليه من اعظم رجال الدولة العثمانية استقامة فعزمت الادارة على الاحتفال باستقباله احتفالا خصوصيا وهيأت لذلك الغرض مقالة لم ينسج على منوالها من قبل وتقرر نشرها يوم وصول دولة الوالي واستعملت ادارة لسان الحال الحرية التامة المعتدلة في بيان المساوي الحاصلة في حكومة سوريا واذا توفقت للحصول على نسخة تلك المقالة انشرها في مكان آخر .وفي الوقت الذي كنا ننتظر فيه قدوم رائف باشا وقد وصلت عائلته الى بيروت صدرت ارادة سنية تلغي ذلك التعيين وعهدت بالولاية الى رؤوف باشا متصرف القدس الشريف . اما لسان الحال فابقى مقالته الاولى على حالها ونشرها يوم وصول الوالي فاهتزت لها المدينة وسائر الجهات التي وصلت اليها ولم تمضِ بضعة ايام حتى اقامت محكمة استئناف بيروت الدعوى على لسان الحال فحكمت المحكمة الابتدائية ببراءته وقد حضر الجلسة الوف من الناس وصفقوا ودعوا بالنصر للسلطان عند صدور البراءة ولم تمضَ ٣ ايام على هذا الحكم العادل حتى ورد تلغراف من الاستانة يقضي بتعطيل لسان الحال الى مدة غير معلومة . وبعد مضي ستة اشهر عفي عن الجريدة . وفي ذات يوم استدعي جميع اصحاب الجرائد الى سراي الحكومة في غرفة عزتلو ميشال افندي

Digitized by Google

ادّه ترجمان الولاية فانبأنا اذ ذاك ان الحكومة قد قررت ان لاتصدر نسخة من جرائد بيروت الا بعد ان ترسل مسودتها قبل الطبع الى ميشال افندي لمراقبتها . وهكذا بدأت المراقبة التي نحن بصددها . وقد كانت في اول الامر مراقبة خفيفة ليس فيها شيء من العنف حتى اذا ضجر ميشال افندي من مطالعة الجرائد وخشيَ المسئولية انتقلت السيطرة الى مكتوبجي الولاية وكان يومئذ المسمى جمال بك وهو تركي لا يعرف كلمة من اللغة العربية ثم فصل وخلفه جابي زاده سعادتلو حسن فائز افندي من اهالي دمشق ومن اخصاء مدحت باشا فشدد على الجرائد حتى كادت تزهق ارواحها ثم آل الامر الى ان تعين سعادتلو عبد الله افندي نجيب المكتوبجي الحالي وهو الذى سأورد من اعماله الغرائب والعجائب .

ذهابي الى انكلترا

لما يئست من تحسين الاحوال في بيروت ولم استطع احتمال ضغط المكتوبجي حسن فائز افندي تركت تحرير لسان الحال وقصدت انكلترا حيث اقمت نحو سنتين ومن هناك كتبت الى المكتوبجي اخبره بوصولي واسأله الرفق برسائلي التي كنت اكتبها من هناك الى لسان الحال فكتب اليّ الجواب الاتي

حضرة الاديب الكامل

وصلني كتابك المبشر ببلوغك المحل المقصود سالماً فسررت لذلك وشكرت حسن وداداك اما رسائلكم للسان فهي عميمة الفائدة ولا تحتاج حذف شيء اذا حرّرتْ عند سكون البحر الذي هاج فرحاً لاستقبالكم . اتمنى لك النجاح والتوفيق مؤكداً مودتي

Digitized by Google

واخلاصي للسليم

٢ ك ١ سنة ١٣٠٨ حسن فائز

وكنت قبل مزايلتي بيروت اذهب في اكثر الليالي لزيارة المكتوبجي في بيته فذكرت له يوماً ما انني اذا تمكنت من مزايلة بيروت والوصول الى بلاد حرية يكون اول همي نشر جريدة حرة · قال اننا نمنعها عن الدخول ونستعمل كل واسطة لمنعك عن كتابتها · ولما فارقت بيروت فجأة كتبت جريدة المصباح انني ذهبت الى لندن لانشاء جريدة عربية هناك · الامر الذى لم يكن يومئذ في خاطري · واول ما رأيته في جريدة المصباح التي وصلتني وأنا في لندن فلم اهتم بتكذيب الخبر لانني لم اعلم ان تلك الاشاعة تكون سببا لاهتزاز رجال الدولة من اكبرهم الى اصغرهم اما أنا فلما وصلت الى مينا تلبوري اخذت دليل لندن وعلمت منه عنوان قنصلية الدولة العثمانية فكتبت رسالة باللغة العربية الى حضرة القنصل الجنرال أخبره فيها عن وصولي الى انكلترا واني بصفة كوني من رعايا الدولة احب ان اجري ما يقتضيه الواجب لتعرف قنصلية دولتي وتعطيني الحماية اللازمة فورد اليّ في صباح اليوم التالي رسالة لطيفة من القنصلية مكتوبة باللغة العربية وامضاها «امين» فلم اعرف من هو امين هذا وحسبت انه من رجال الاتراك الذين يكتفون بتوقيع اسمهم الاول كأن السموات والارض تعرف من هم · ومضت على ذلك مدة طويلة ذهبت في غضونها الى لندن ثم زرت نحو ثلاثين مدينة في انكلترا وكنت اتردد على لندن كل اسبوع ولم اتمكن من زيارة القنصل ولم أرَ ما يستوجب زيارته بدون شغل خاص لعلمي ان المشغول لا يشغل وبعد

Digitized by Google

ان مضى عليَّ نحو سنة في انكلترا كنت ذات يوم في لندن اسير من جهة « كانون ستريت » فذكرت انني على مقربة من القنصلية وقلت لا بأس أن أزور القنصل وأتعرف عليه ولا شيءَ يشغلني الآن . فصعدت سلمًا ودخلت الى باب عليه اسم القنصلية فطرقت الباب ودخلت الى غرفة واسعة ليس فيها الا طاولة صغيرة جلس اليها شاب لطيف ورأيت امامي بابا يؤدي الى غرفة داخلية وقد وقف فيه رجل لا أعرفه فتقدم اليَّ الشاب وقال ماذا تريد . قلت أن أرى حضرة القنصل واعطيته تذكرة زيارتي فاخذها وقدمها للرجل الواقف في باب الغرفة الثانية فاخذها هذا ونظر فيها بامعان مدة دقيقة ثم صعد الدم الى وجهه وقدحت عينه النار واخذ يرتجف ثم رمى بالتذكرة الى الارض مغضبًا وقال باللغة العربية العامية « فوت » أي أُدخل

قلت ومن انت . قال بغضب اعظم « انا القنصل » قلت . اظنني مخطئًا فقنصل دولتي لا يعاملني هذه المعاملة . فاندفع بالشتيمة والتهديد وصاح بي قائلا = « انكم تخرجون من بلادكم ولا تذكرون ان لكم دولة او حكومة وانت قد اقلقت رأسي واتعبتني كثيرًا وصيرتني في مركز حرج أخاف منه على منصبي فكانك تريد مزاحمتي على المنصب » الى غير ذلك من الكلام المهين . وانا لا افهم معناه بل انتظر ريثما ينتهي من الشتيمة فاخرج واذا بعزتلو يوسف افندي الياس مهندس لبنان سابقًا وصاحب امتياز سكة حديد حيفا قد دخل فسلم عليَّ وصافحني وانعطف عليَّ بمزيد الشوق والتودد ثم قال ادخل لنجلس مع امين افندي برهة « يريد القنصل » قلت لست

Digitized by Google

بفاعل فان الرجل اهانني كثيراً وانا غير محتاج اليه ولا زيارته واجبة عليّ قال القنصل بلطف « تفضل ياسيدي » على اثر ما رأى من اكرام صديقه يوسف افندي لي قلت الآن ادخل اذ لي معك كلام لكنني لا افعل حتي ترفع تذكرتي عن الارض اذ لا آمن ان تحصل لي الاهانة نفسها . ففعل ودخلت . فلما جلست قلت ماذا اصابك ياهذا حتى عاملتني هذه المعاملة وأية علاقة لي معك وباشغالك ومركزك مع انك لا تعرفني ولا اعرفك قال انت لا تعلم السبب فمنذ زايلتَ بيروت ما برحت ترد اليّ الاوامر من الاستانة بالتفتيش عليك ومراقبتك وأنا لا اعرف مكانك والاوامر من هناك ترد بتشديد ولا سبيل الى ادراكك قلتُ انما كان ذلك لانني كنت أتجول في المملكة منزها الطرف في محاسنها لكن ما الذي الجأ الاستانة الى هذا . قال اسمع . واخرج عدة كتب بعضها من وزارة الداخلية وغيرها من غيرها و بعضها من حسن فائز افندي مكتوبي ولاية بيروت مآلها ان سليم افندي سركيس من نبهاء بيروت واحد كتابها البارعين سافر الى لندن والشائع انه ينوي اصدار جريدة عربية في لندن ولما كان لم يعرض ذلك على الباب العالي ولما كان مثل هذه المشروعات الكتابية مضراً بصوالح السلطنة اقتضى اصدار الامر اليكم مشدداً بوجوب مراقبة حركات سليم المذكور وسكناته ورفع التقارير المتواصلة عن الخطب التي يلقيها والجمعيات التي يتردد عليها والجرائد التي يكتتب فيها وترسل تلك المقالات الى الباب العالي الى آخره ...) فاضحكني اهتمام الدولة بهذه الامور وقلت للقنصل ماذا تريد مني الآن قال تذهب معي الى رستم باشا السفير

Digitized by Google

قلت لا أفعل . قال اذاً لا تخرج من هنا الاَّ معي الى السفارة قلت انت ترتكب اعظم خطاء فلا سلطة لك عليّ وكلمة واحدة لفظها من هذه النافذة تجعلك تحت سلطة اول بوليس انكليزي . أنسيت اننا في لندن ام الحرية قال لماذا لا تذهب لزيارة السفير قلت يظهر لي من معاملتك ان الدولة ملأت دماغك بالخوف مني فاذا كانت هذه معاملتك لي فكيف تكون معاملة السفير وانا لا احب ان اقابل دولته لئلا تحصل لي الاهانة التي حصلت هنا وفضلا عن ذلك فان الباب العالي انما امرك ان ترسل اليه التقارير عن تصرفاتي لا ان تقبض عليّ قال ومن لي بتلك التقارير قلت اسمح لي بساعة اعود بعدها بمادة كافية لتقريرك قال انك اذا خرجت تكون أفلت من جرادة العيار قلت لدي هذه التحارير وأخرجت تجارير من اصحاب جرائد الستاندرد والدايلي تلغراف ومن المسترت . ب اوكونر صاحب جريدة الشمس وعضو ليفربول في البارلمانت ومن الآنسة بريستلي احدى محررات الصحف ومن المستر استيد صاحب مجلة المجلات حالا ومحرر البال مال غازيت سابقاً فقرأها جميعاً وفهم منها ان تلك الجرائد كانت تطلب مني مقالات عن تركيا وانا لا اجيب طلبها فاخذ من التحارير بعض العبارات ليبني عليها تقريرهُ وانصرفت من عنده واقسمت ان لا ازور قناصل الدولة في كل بلاد ازورها . وانا أؤكد اليوم ان تلك الاوامر صدرت من سخافة عقول بعض رجال المابين الذين خافوا من نشر سيآتهم بين الافرنج

وفي اواسط تشرين الثاني سنة ١٨٩٣ بعد ان قضيت نحو ستة

Digitized by Google

ونصف سنة في انكلترا عقدت النية على عدم الرجوع الى سوريا فقررت اصدار جريدة حرة بالاتفاق مع جون هزلمون مديرها الانكليزي ونشرت اعلانا وزعته على جميع البلدان العربية وخصوصاً سوريا وجهاتها وهذه صورته عن النسخة المطبوعة

رجع الصدى

جريدة سياسية اصلاحية اسبوعية من لندن تقبل جميع المقالات والرسائل بدون توقيع اصحابها

ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وانت خير الفاتحين : سورة الاعراف

قفوا على الطرُق واسالوا عن السبل القويمة اين هو الطريق الصالح وسيروا فيه ارميا ٦ : ١٦

هذه الحقيقة المحزنة : ان الدولة العثمانية في خطر .... وللتخلص من هذه الشدائد يجب على جلالتكم ان تتناسوا العالم الماضي وتقتادوا الامة الى مقاصد جليلة جديدة ..

(من رسالة فوآد باشا عند موته الى السلطان العثماني)

﴿ رجع الصدى ﴾

طالما ارتفع من انحاء الشرق صراخ طبق جوانب الارض صداه فلا غرو ان يرُدّد رجع الصدى . صراخ الامة في اطراف المعمور . نداء الشعب يكتب بحروف من نار على جبين الدهور . اصوات متقطعة . افئدة منفطرة . تعرب عن قلوب منتظرة . فالى متى تصم الاذان . وقد ثبت من الصوت وجود اللسان . ومن حرقة البيان وجود الجنان . ومن حركة الخواطر ان في السويداء رجالا : لكن حبست الالسن الشرقية عن النطق بمحاسن الحرية ... استغفر الله من زلة القلم فلم يحبس لسان الشرق عن الكلام . وان حبس القلم عن تصويب السهام . ان لسان الشرقي يلهج أبد الحياة ومنذ نشأ متحركا بعاطفة لم يجرأ القلم في الشرق ان يرقمها على القرطاس .

Digitized by Google

وانما كلمات اللسان تدرك دائرة واسعة يضيع الصوت في مداها. فالجرائد اذًا أحسن ترجمان يأتي بالمراد من الكلام سحرًا حلالا . اجل : حبست الاقلام فاستوثقت في درع النكد الطالع قد جمد . واقتصر الكلام على أحب وهام احاديث ما انزل الله بها من سلطان . وقضي على الرأي العام فصار حيًا في جسد ميت . وماتت الصحف في الشرق قبل ان تحيا ولعلها ماتت لتحيا كما نحيا لنموت . لكن سبب هذه الميتة خوف في قلوب (الهيئة المحكومة) ألقته مخاوف (الهيئة الحاكمة) فخائف من خائف ويا لله من هذا المصير . من ثم كان لصراخ الشرق وان همسًا صدى رددته جوانب الارض وهذا رجع صداه ـ خدمة للامة بعثناه وترجمان افكار اقمناه فان لم يفعل الخير عاجلاً بقيت اثاره حتى اذا جاء عهد الشرق في تقدم ونجاح قلنا ياقومنا اقطفوا من سعي اخوانكم ثمرًا جنيًا واعتبروه على الاخلاص برهانًا سنيًا فالغاية ان يقضي فرضًا مأتيًا ـ وحتى لايقال ان هذا رجع صدى صوت شرقي فرد وحتى يزول الخوف الذي القته الهيئة الحاكمة في قلوب الهيئة المحكومة وحتى يصح ان هذا هو الرأي العام وحتى لا يعذر المتقاعد عن خدمة وطنه وحتى لا تقف الاغراض الذاتية في سبيل المنفعة العمومية يقبل رجع الصدى كل رسالة في موضوع الجريدة بقطع النظر عن اسم مرسلها اي بدون التواقيع بل تتحمل كل مسؤولية ويكون رجع الصدى صلة بين الامم الشرقية والحكام فليكتب الكتبة افكارهم من وراء الحجاب الى ان تمزق حواشيه او نلاشيه ان شاء الله . وننشر ونقبل كل افادة صريحة عن تقدم الغرب ونسبة الشرق اليه وافكار الشرقي في شرقه وبيان علة التأخر وعلاجها وتحريض الامم على الاتحاد : اننا لانقصد تخصيص الجريدة لمملكة شرقية دون الاخرى فالعثمانية والفارسية والدولة العربية جميعها تجد في رجع الصدى ما يهمّ . وهذه الجريدة لا تريد الطعن ولا تقصد المضرّة ولا تبدأ بالعداء فتصل الى المشتركين في البريد عادة الجرائد فاذا اوقفها الخوف وحال دون وصولها الظن استنجدت بعدات نشأتها واستعانت بما هو مخزون في راسمالها ووضعت في مقدمتها مجموع قوتها فلا تقف الموانع في طريقها انتهى

وفي الوقت المعين اصدرت العدد الاول من الجريدة وما كدت انتهي من كتابة عنوانات اعدادها حتى حضر الى لندن عمي صاحب لسان الحال

عائدا من اميركا فعدت واياه الى بيروت حيث اصدر جريدته يوميا فحررتها مدة نصف سنة الى ان ظهرت حادثة الاميرة نجلا ولاح لي من دناءة حكام بلادي وجورهم ما ضاق معه صدري مما سأذكره عند تعريب رواية الاميرة التي اجاز لي تعريبها عن الانكليزية مؤلفها المستر فليرتون معاون المستر بلويتز مكاتب التيمس الباريزي فرحلت مع صديقي الكريم الامير امين ارسلان الى باريز حيث اصدرنا جريدة كشف النقاب وبعد مدة رأيت ان للصديق المشار اليه مقدرة كافية وحده على اصدار الجريدة وان من الصواب نشر مبادي الحرية في جهتين فاتيت الاسكندرية واصدرت جريدة المشير التي فازت بالنجاح العظيم بعناية حضرات الافاضل وقد طرأ عليّ من الحوادث العظيمة والاحكام الجائرة والتهديد بالقتل ما سأعود الى ذكره عند الكلام عن المشير

كيف تراقب الجرائد

بعد ان يكتب محرر الجريدة العثمانية مقالات جريدته وترتب حروفها وتصلح اغلاطها حتى تصير جاهزة للطبع والتوزيع تبعث الادارة بنسختين منها الى المكتوبجي وعلى المطبعة والمحرر والعملة ان ينتظروا رجوع المسودة المذكورة قبل ان يبدأوا بالطبع . وترسل المسودة عادة الساعة العاشرة افرنجية صباحاً وقد تبقى عند المكتوبجي الى الساعة الثالثة او الرابعة بعد الظهر والتعطيل شامل الادارة والمطبعة والعملة والمحرر

فعند ما تصل المسودة الى سراي الحكومة ياخذها العسكري الملازم في

خدمة سعادته من صبي الادارة ويضعها على طاولة مولاه و يبقى الغلام في انتظاره الى ان يرحم ويشفق وعند ذلك يتنازل فيرسل المسودة المذكورة الى احد خلفاء قلم المكتوبجي المسمى عبد الرحمن افندي الحوت ليطالعها قبله وذلك لان المكتوبجي الحالي عبد الله نجيب يعرف من اللغة العربية قدر ما اعرف انا من لغة آدم

عبد الرحمن الحوت

اما عبد الرحمن افندي الحوت هذا فهو حوت في الحقيقة تصل اليه المسودة فيقرأها ولما كان يعلم حق العلم ان مراقبة الجرائد لا يقصد منها الا الاستبداد وان لاقانون لها يجري بموجبه اصبح المسكين يخاف من المسئولية فهو اذا رأى غير شيء ظنه رجلا وهكذا ببداء بقراءة المسودة فاذا رأى عبارة يعرف انها لاترضي المكتوبجي حذفها بحبر اسود ثم تعرض لهُ احياناً بعض عبارات لا يدري اذا كان يجب عليه حذفها ام لا فيقع في حيص بيص اخيراً يضع علامة مستطيلة بحبر احمر على جانب السطور التي تتضمن تلك العبارة التي اشكل عليه امرها وهكذا فمتى انتهى من مطالعة مسودة الجريدة تكون قد صارت ذات خطوط سوداء وعلامات حمراء لاتحصى فيكتب في ذيلها تقدَّم

عبد الرحمن

اي يجب ان تقدم الى المكتوبجي ويضع توقيعه . وفي وسع عبد الرحمن افندي المذكور ان يضيق اعظم تضييق على اصحاب الجرائد

Digitized by Google

لان المكتوبجي لا يضع توقيعه على المسودة الا بعد ان يقرأها حوت افندي فلو اراد حوت افندي ان يقضي في قرأة المسودة ١٠ ساعات فليس من مانع ولذلك قرر اصحاب الجرائد ان تعطيه كل جريدة مبلغاً من المال استرضاءً له ليعجل في قراءة جرائدهم . وبعض الجرائد تدفع لهُ ذلك المال تحت ستار المصانعة اي انها تكلفه بترجمة بعض اخبار عن جرائد الاستانة التركية مع ركاكة الترجمة وعدم تحصيل المعاني ثم تدفع له المال كانه اجرة ترجمة وليس بصفة رشوة

عودٌ الى الموضوع

وبعد ان يكتب حوت افندي في ذيل المسودة « تقدَّم » يأخذه خادم الادارة الى غرفة المكتوبجي الذي يكتفي اكثر الاحيان بان ينظر الى المسودة ولما كان لا يعرف اللغة العربية فهو يرى الخطوط الحمراء الى جانب بعض العبارات فلا يكلف نفسه الى طلب ترجمتها او الاستفهام عنها بل يقول في نفسه لو لم يكن هنا محل ريبة وكلام سياسي لا حق للجرائد باستعماله لما ارتاب فيها حوت افندي ولما كان لايهمه تعب المحرر او راحة القراء يأخذ قلمه ويضرب به على كل عبارة عليها اشارة حمراء وهكذا فبعد ان يكون مراد حوت افندي الاستفهام تصبح تلك العلامة اشارة لحذف المقالة وبعد ان يفعل ذلك يكون قد حذف من المسودة ١٠ اعمدة واحيانا خمسة فيكتب في ذيل النسخة الواحدة من المسودتين

كور لمشدر
عبد الله

Digitized by Google

وهي كلمة الاجازة للادارة التي بدونها لايمكن طبع الجريدة

ولا يظن القاري ان رحلة المسودة قد انتهت الآن فانها بعد ان يوقع عليها المكتوبجي تعاد الى حوت افندي ليحذف كل ما حذف في المسودة الثانية تماماً وتعاد الواحدة الى الادارة وتبقى الثانية عند المكتوبجي . فتصل النسخة بالحذف الذي فيها الى محرر الجريدة المسكين فتضطر الادارة الى حل الحروف ويحذف العملة ما حذفه المكتوبجي ويضعون محله مقالات اخرى ويرسلون المسودة ثانية الى المكتوبجي ليراقب العبارات والمقالات التي زادها المحرر بدلاً من المقالات المحذوفة فيجري ماجري اولاً وهكذا الى ان يسمح الله بالخلاص فتطبع الجريدة ويرسل اول عدد يصدر منها مع مخصوص الى المكتوبجي فيقابله على نسخة المسودة الثانية التي حفظها عندة ليرى اذا كانت الادارة قد حذفت كل شيء حذفه ثم ترسل ٣ اعداد من الجريدة وفي ذيلها امضا صاحب الامتياز بخط يده تحت توقيعه المطبوع .هذه ترسل الى قلم المكتوبجي لتحفظ هناك وترسل الى الاستانة حيث يراقبها اعضاء انجمن المعارف . والغريب ان مراقبة المكتوبجي وضغطه العنيف ومنعه كل ما لا يرضاه عن الظهور في الجرائد لا يحميها من التعطيل بل اذا رأى بعد طبع الجريدة عبارة لم يكن قد انتبه اليها قبلا امر بتعطيل الجريدة او لو رأت الاستانة مقالة لم ترض عنها امرت بتعطيلها ايضاً

Digitized by Google

برهاني على صدق ما اقول

سأبدأ الآن بنشر غرائب المكتوبجي واريد ان اوكد لحضرات قراء كتابي انني صادق في كل كلمة اقولها عن المراقبة اولاً . لانني حضرت المراقبة من اول نشأتها . ثانياً لانني كنت بنفسي احتمل تلك المراقبة فانا اروي ما عرفته بذاتي لا ما سمعته من غيري . ثالثاً استشهد على صحة كلامي بالبراهين القاطعة التي اعزز بها اخباري فانني اجرّب ان لا اذكر حادثة الاّ وفيها اسماء الجرائد التي جرت لها تلك الحادثة واسماء الاشخاص الحقيقية فان وجد فيمن سأورد اسماءهم من يقدر ان يقول انني مخطىء او انني اروي غير الحقيقة فانا مستعد لنشر اعتراضه في جريدة المشير وتاكيداً لقولي هذا فاذا اعترض عليَّ معترض ولم انشر اعتراضه فلهُ ملء الحرية ان ينشره في اية جريدة اراد . رابعاً سيأتي وقت يخرج بعض اخواني الذين حرروا جرائد سوريا من بلاد الظلم واذ ذاك فهم يؤيدون اقوالي لانهم الآن ليس في وسعهم تاييدها . خامساً سأنشر في ذيل هذا الكتاب صورة مأخوذة بالزينكوكراف اي التصوير عن اصل مسودة من مسودات جرائد بيروت في وقت رجوعها من عند المكتوبجي مع الحذف الذي فيها فلا يبقى مجال للريب في صحة كلامي

١ ـ خارطة الممالك المحروسة

ان المطبعة الاميركانية الخاصة بحضرات المرسلين الاميركان رسمت خارطة لتدريس طلبة العلم في المدارس فبلغ امرها المكتوبجي (الطيب الذكر)

Digitized by Google

واستدعى مدير المطبعة اسعد افندي واكد وجرت بينهما المحاورة الآتية

مكتوبجي — هذه الخارطة ذات الوانٍ مختلفة فلماذا فعلتم ذلك ولم تجعلوها ذات لون احد

مدير المطبعة — انما فعلنا ذلك بمقتضى قاعدة رسم الخارطات وجعلنا كل مملكة ذات لون يختلف عن لون المملكة الاخرى تسهيلاً للتلامذة ليتمكنوا من تمييز البلاد الواحدة من البلاد الاخرى

مكتوبجي — ما بالكم اذًا رسمتم المملكة العثمانية بلون ابيض ومصر بلون احمر

المدير — ذلك ليسهل على الطلبة تمييز الحدود عند تحديد البلدان

المكتوبجي — بل هي خيانة منكم كانكم تعتبرون مصر خارجة عن المملكة العثمانية وانها مملكة مستقلة . فانكر المدير تلك التهمة الاَّ ان المكتوبجي أَبى تصديقه وامر بضبط الخارطات جميعها فاضطرَّت المطبعة الاميركانية الى طبع الخارطة مرة ثانية وجعلت كل ما كان لتركيا من اول وجودها حتى الآن بلون واحد

٢ — حرمتلو المسيو لوار

ذكرت جرائد بيروت اسم حضرة الموسيو لوار الفرنساوي مدير البنك العثماني في بيروت فأَمر المكتوبجي ان يلقبوا المدير بلقب « حرمتلو » ولا ادري ما القصد من ذلك

٣ — سعادة محمد علي باشا

كلما اوردت جرائد بيروت اسم البرنس محمد علي باشا شقيق سمو

Digitized by Google

الامير الاعظم خديوي مصر فهي مضطرة بامر المكتوبجي ان تكتبه هكذا « حضرة سعادتلو محمد علي باشا » وقد روى ذلك الاتحاد المصري قائلا ان جرائد بيروت تنزل اعضاء الاسرة الخديوية منزلة لاتليق بمقامها. ولكن اي ذنب لجرائد بيروت والمكتوبجي هو الآمر الناهي

٤ ـ مصطفى بك ارسلان

قلت في عدد ٢١ من المشير انني زرت سعادة الامير مصطفى ارسلان قائمقام قضاء الشوف لما رجع من الاستانة فقال لي « لما وصلت الى الاستانة لم اكتب على تذكرة زيارتي «الامير مصطفى ارسلان » بل اجبروني على كتابة اسمي هكذا « مصطفى بك ارسلان » قلت وما اعتراضهم على لقب الامارة قال « انهم لسخافة عقولهم يظنون الامارة مخصوصة بامير المومنين مع ان لقب الامارة عندي اقدم منه في السلطنة العثمانية »

٥ ـ الحجر على « كتاب حافظ السلام »

لما توفى المغفور له قيصر روسيا ألف حضرة الاديب نسيم افندي نوفل كتابا في ذكر مناقبه سماهُ « حافظ السلام » وارسل منه بعض نسخ الى بيروت فصدر الامر بالحجر عليه وعدم تسليمه لاصحابه لان فيه العبارة الآتية « جلالة الامبراطور نقولا الثاني قيصر روسيا الاعظم وجلالة الامبراطورة المعظمة » واعتراضهم على ذلك ان لقب « الجلالة » لا يجب ان يستعمل الا للسلطان عبد الحميد

٦ ـ عبده افندي الحمولي

خطرت لي الآن حادثة جرت في الاستانة ليس لها علاقة مع المكتوبجي

Digitized by Google

الاَّ من حيث انها تبرهن على صحة ما اروي به فقد نشرت في عد ٣٧ من المشير ما يأتي « لما ذهب حضرة المطرب الشهير عبده افندي الحمولي الى الاستانة بمعية سمو الخديوي رغب السلطان ان يسمع صوته الرخيم وقبل الوقت المعين لتشرفه بالحضرة السلطانية جاءه احد رجال المابين وامره ان يكتب على ورقة ما يريد ان ينشده من الادوار ففعل وكتب الابيات الآتية او ما يقابلها في المعنى

غاب عن عيني مرادي وانهمل دمعي صبيب
عزَّ من يشفي فؤادي عند ما غاب الحبيب

والدور الآخر

خلعتُ عذاري في هواك ومن يكن
خليع عذارٍ في الهوى سرّهُ نجوى

وكتب ايضاً

العذول اصل انتباهي بالشمول
يا الهي انت جاهي في العذول

فلما حضر السلطان اعادوا الى عبده افندي الادوار المذكورة وقد حذفوا من الاول لفظة « مرادي » واستبدلوها « بحبيبي » ومن الدور الثاني « خلعت » « وخليع » فيقرأ البيت هكذا

تركت عذاري في هواك ومن يكن
بدون عذارٍ في الهوى سرّهُ نجوى

وحذفوا من الثالث كلمة (عذول) الواردة في صدر البيت الاول

Digitized by Google

وفي قافية البيت الثاني واستبدلوها بكلمة الرقيب . لان مرادي تشير الى اسم السلطان مراد . وخلعت وخليع تشيران الى معنى خلع الملوك واما العذول فانهم فهموا انها مشتقة من عزلَ يعزلُ

٧ ـ نسيب اللورد كرومر

ذكرت جرائد بيروت وصول حضرة اللورد نوثبروك اليها وقالت (انه نسيب حضرة اللورد كرومر وان حضرته قدمه الى سمو الخديوي) فحذف المكتوبجي قولهم انه نسيب حضرة اللورد وانه قدمه الى سمو الامير

٨ ـ احتلال الانكليز ونيل المراد

في ساعة رضى امر والي بيروت بتعيين الامير سعيد ارسلان لمراقبة الصحف مع المكتوبجي الذي يجهل اللغة العربية وكان تعيينه لمدة قصيرة ففي ذات يوم استدعى المكتوبجي الامير الى غرفته وقد انقدت نار الغضب والشراسة في عينيه فقال له . ـ اتجهل ايها الامير اني لا ازال المسئول من الدولة عن الجرائد وإن عهد امرها اليك فلماذا تسمح لها ان تحرر ما يمس صوالح الدولة. قال الامير « ما الذي نشرته اليوم فقد قرأت مسودتها ولم أبق ما يوجب اللوم » فازداد المكتوبجي غضباً واخذ نسخة من جريدة البشير الكاثوليكية وقال للامير انظر هذه العبارة (نيل المراد) في رسالة لمكاتب الجريدة المصري فان قصد المحرر من (نيل) نهر النيل في مصر وما ادراك ما هي الغاية من مصر والنيل مع وجود الانكليز في القطر المصري. واما هذه اللفظة (واشار الى « مراد » باصبعه)

Digitized by Google

فلا اقوى على لفظها بفمي اذ يرتجف قلبي ولا شك ان المحرر يريد غاية سياسية خفية من الجمع بين النيل ومراد . فحاول الامير ان يفهم الرجل معنى (نيل المراد) اي ادراك القصد ولكنه حذف المقالة باسرها فراجع مدير البشير حضرة الوالي الذي امر بارجاع المقالة معتذراً عن المكتوبجي بجهله لغة البلاد

٩ ـ الامبراطور محمد علي الطرابلسي

تعين هذا الامبراطور الجديد بارادة سامية من حضرة سعادتلو عبد الله افندي نجيب مكتوبجي ولاية بيروت واليك البيان نقلا عن عدد ٣٦ من المشير . كتب اليَّ من بيروت مع البريد الاخير ان جريدة المصباح نشرت الاعلان الآتي

« ان قطعة الارض المشتملة على بيت مؤلف من ٤ اوض ومطبخ ودار ملك محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة وعلى الراغبين مخابرة صاحبها

وارسلت مسودة الجريدة الى المكتوبجي فلما قرأ الاعلان استشاط غيظاً وحذف لفظة (ملك) فسأله الامير سعيد ارسلان وكيل المراقبة عن سبب ذلك قال (لا ملك الا الذات الشاهانية) وعبثاً حاول الامير اقناعه بغلطه وبعد ان قدح زناد الفكر طويلا قال قد وجدت طريقة اوفق وذلك ان استبدل لفظة (ملك) بلفظة (امبراطور) وهكذا فعل واعيدت المسودة الى ادارة المصباح وقد صار الاعلان هكذا

ان دار الامبراطور محمد علي الطرابلسي معدة للاجرة

فاسرع مدير المصباح الى والي بيروت واطلعه على المسودة فضحك

كثيراً قدر مابكى المحرر على بنات افكاره الذاهبة ضحية جهل المكتوبجي وعنفهُ على جهله

١٠ ـ محمد افندي سلطا ـ ني

كتبت جرائد بيروت ان احمد افندي سلطاني زايل الثغر لزيارة شقيقه محمد افندي سلطاني المقيم في الاستانة فحذف المراقب النون والياء من سلطاني وهكذا بقي الاسم (محمد افندي سلطا) لان السلطان لا يكون الاَّ لعبد الحميد. وفي حادثة اخري حذف لقب سلطاني باسره واستبدله بمخزومي لان عائلة سلطاني لها لقب المخزومي . وقد فعل مثل ذلك رامز بك قاضي بيروت لما عرضت عليه حجة شرعية باسم احد افراد عائلة سلطاني فحذف النون والياء ولا تزال تلك الحجة بين اوراق محكمة بيروت الشرعية

١١ ـ منع الحداد على الموتى

وجد المكتوبجي ذات يوم انه ليس في المسودة التي قدمتها لهُ ما يليق حذفه ولكن ابي الاَّ ان يحذف شيئا اتباعاً لقول الشاعر

اذا كنت لا تنفع فضرَّ فانما يراد الفتى كيما يضر وينفع

فرأى في الجريدة ذكرت موت احد الاهالي وعلى المقالة خط اسود فحذفه زاعما ان ذلك الخط الاسود يشوّه وجه الجريدة شوّه الله وجهه كما لا يزال يشوّه بجهله وجه الادب

١٢ ـ لم يمت كارنو

بعد ان صدر لسان الحال يوميا بايام قليلة جاءتنا رسالة برقية. من صديق باريزي تنبىء بمقتل الموسيو كارنو رئيس جمهورية في ليون

Digitized by Google

من خنجر كازاريو الشقي فنشرت التلغراف الا ان المكتوبجي حذف خبر قتله وامرنا ان نقتصر على ذكر موته بقولنا (انتقل الى رحمة ربه) لان ذكر قتل الملوك يخيف الاتراك لانهُ يخيف سلطانهم فاضطررت الى ان افعل ذلك مكرهاً

١٣ ـ البوبجية دعاة الجمهورية

وارسلت الغلمان لمبيع الجريدة في الشوارع واوعزت اليهم ان ينادوا (موت رئيس جمهورية فرنسا) تنبيهاً للناس الى الاقبال على ابتياع الجريدة وفي المساء لم يحضر الاولاد لتقديم حساب المبيع كالعادة ثم جاءني خبر انهم جميعاً في السجن فهرولت الى مدير البوليس اسأله السبب قال انهم ينادون في شوارع المدينة بالجمهورية قلت بل هم ينادون بموت رئيس جمهورية فرنسا قال الا تدري ان هذه اللفظة ممنوع استعمالها هنا فوعدته ان لا اعود الى ذكرها وهكذا اطلق سراحهم

١٤ ـ نعلن لحضرة العموم

وعلى ذكر الجمهورية اقول جرت العادة ان ينشر الناس اعلاناتهم هكذا

نعلن لحضرة الجمهور اننا قد انشانا مدرسة الخ

فامر المكتوبجي ان تحذف لفظة الجمهور فيما بعد من الاعلانات وان تستبدل بقولنا (نعلن لحضرة العموم) لان كلمة (جمهورية) تخدش الاذهان وهكذا فانك لا تجد في جرائد بيروت لفظة جمهورية على الاطلاق

Digitized by Google

١٥ ـ هل الصليب مقدَّس

نشرت جريدة البشير الكاثوليكية ان قد وافق اليوم عيد الصليب المقدس عند الطوائف النصرانية فحذف المكتوبجي لفظة (المقدس) الا ان مدير البشير اعترض فلم ينفع اعتراضه واضطر الى حذف اللفظة لكن ما لبث الاباء ان رفعوا شكواهم رسمياً الى الاستانة بواسطة سفير فرنسا فكانت النتيجة على ما يقال عزل المكتوبجي حسن فائز لاول مرة

١٦ ـ صاحب العزة

نشرت جرائد بيروت يوماً ما خبراً عن احد الوجهاء وهو صاحب الرتبة الثانية فبدلاً من ان تقول (عزتلو فلان افندي) قالت (حضرة صاحب الوجاهة والعزة فلان افندي) فحذف المكتوبجي ذلك قائلا ان العزة لله

١٧ ـ موت شاه العجم

في شهر مايو من سنة ١٨٩٦ هجم احدهم على المغفور لهُ شاه العجم ففتك به برصاصة اصابته فذهبت بآمال الاعجام ونشرت جميع جرائد العالم خبر هذا المقتل الفظيع الاَّ جرائد بيروت فانها نشرت الخبر كما يأتي

(ورد قبيل عصر امس نباء برقي رسمي ينعي المرحوم المغفور لهُ ناصر الدين خان شاه ايران المعظم فنكست قناصل الدول اعلامها واسف القوم على هذا المصاب الجلل

(وقد ذكرنا في عدد سابق انهم كانوا في بلاد فارس يستعدون

Digitized by Google

استعداداً عظيماً للاحتفال بعيد جلوسه للسنة الخمسين في السادس من هذا الشهر فوافاه القدر المحتوم فجأة في وسط ذلك الاستعداد قبيل حلول العيد بيومين او ثلثة . رحمه الله وجعل الجنة مثواه

١٨ ـ مالوك وليس مأُوك

قدم بيروت احد افراد عائلة ملوك الشهيرة في مدينة بعلبك واظن ان اسمهُ يوسف افندي بعد ان قضى مدة في اوستراليا فكتبتُ ان قد حضر الى بيروت حضرة الوجيه يوسف افندي مأُوك . فما كان من المكتوبجي الاَّ ان حذف اللقب فاصبح الاسم يوسف افندي ، قلت لهُ ان في سوريا ماية الف يوسف قال ان الملوك لا يكونون في بعلبك قلتُ ان الرجل ليس ملكاً ولكن اسمهُ مأُوك بتشديد اللام وانا اضع الشدة على اللام قال انها تفقد في الطبع فاضطرني الامر الى نشر الاسم هكذا (حضرة الوجيه يوسف افندي مالوك) واذ ذاك سمح سعادتهُ بنشر الاسم

١٩ ـ المأمون والمكتوبجي

كنت ارسل المسوَّدة في عهد حسن فائز افندي مكتوبجي بيروت السابق الساعة الواحدة بعد الظهر فيعيدها اليَّ الساعة الرابعة وقد حذف منها ٦ اعمدة لم يجدها موافقة لذوقهِ اللطيف . فحدث ذات يوم انني استبدلت المقالات المحذوفة بمقالات كنتُ قد اعددتها استعداداً لمثل هذا الاستبداد وبقيَ عليَّ ان املاء فسحة عمودٍ والبريد على وشك ان يسافر فنقلتُ الى الجريدة قصة من نوادر الخليفة المأمون اخذتها بحروفها من كتاب (اعلام الناس فيما جرى للبرامكة مع بني العباس) ظناً مني انها امينة من شرّهِ واخذت

Digitized by Google

المسوَّدة اليهِ هذهِ المرة بنفسي فحذف قصة المأمون . قلت لماذا قال هذه احاديث خلافة مرَّت عليها الاعوام ولانريد اعادة ذكرها على الاسماع قلتُ ارحمني يرحمك الله اذ يستحيل عليَّ اصدار الجريدة اليوم اذا تمَّ الحذف قال أَشفق عليك اذاً . وسمح باثبات القصة بعد ان اصلح فيها مايأتي .

استبدل كلمة امير المؤمنين بالحاكم . والخليفه كذلك والاعرابي بالرجل وحذف اسم المأمون من كل المقالة واستبدلهُ « باحد الحكام » وهكذا نشرتُ المقاله .

٢٠ ـ كلام بدون معنى

فلما رأَيتُ انهُ يحذف كل مقالة مفيدة ذات معنى اردت ان امتحن درجة فهمهِ ومبلغ التضييق فكتبت مقالةسياسية تحت عنوان(الاحوال الحاضرة) في صدر الجريدة قلتُ فيها مايأتي

« قد عمَّ السلم الارض قاطبةً وقام الملوك والوزراء يعلنون مقاصدهم السلمية فذهب حشمتلو الامبراطور كارنو الثالث قيصر روسيا الى اميركا والقى هناك خطبة لاتختلف في لهجتها السلمية عن الخطبة التي القاها المستر بسمارك رئيس وزارة انكلترا في شيلي قال فيها انه تمَّ عقد التحالف مع حضرة الامبراطورة اجيني ملكة فرنسا والارشيدوق رودلف امبراطور البرازيل على ضم امبراطورية سويسرا الى جمهورية المانيا والاتفاق على مد خط حديدي تحت بحر البلطيق يساعد على تسهيل التجارة بين افريقيا والقوقاس . وهكذا فالعالم السياسي اليوم في راحةٍ تامة » الى آخر ما هناك من الخلط والمبالغة فصادق المكتوبجي عليها وذيلها باسمهِ الكريم مع كلمة « كورلمشدر » وطبعت في لسان الحال

وانتشرت بين الناس كما يذكر كل من قرأها من الادباء

ومعلوم ان كارنو كان رئيساً لجمهورية فرنسا ولم يخرج من فرنسا مطلقاً والبرنس بسمارك كان في المانيا ولا علاقة لهُ بوزارة انكلترا ولم يرَ بعينه بلاد شيلي والامبراطورة اوجيني منفية من بلادها والامبراطورية ملغاة من فرنسا كما ان الارشيدوق رودلف كان قد مات منتحراً والبرازيل صارت جمهورية وسويسرا جمهورية والمانيا امبراطورية وبحر البلطيق يبعد عن افريقيا قدر ما يبعد العقل عن راس حضرة المكتوبجي · ومع ذلك سمح بنشرها

٢١ ـ الجمهور

ان محرر الجريدة في بيروت لايجوز لهُ ان يذكر كلمة (جمهور) بل يجب ان يقول (الشعب) او (القوم) وفي الاعلانات يقال عادة (نعلن لحضرة الجمهور) فيحذفها المكتوبجي ويضع محلها (القوم) وذلك خوفاً من اشتغال افكار القراء بالجمهورية والميل اليها

٢٢ ـ ايها الغلاطيون الاغبياء

ورد في الاصحاح الثالث من رسالة بولس الرسول الى اهل غلاطيه في العدد الاول ما يأتي "ايها الغلاطيون الاغبياء من رقاكم حتى لاتذعنوا للحق أهكذا انتم اغبياء"

وحدث ان جريدة دينية للبروتستانت نشرت موعظة لاحد القسس جعل موضوعها قول بولس الرسول لاهل غلاطية · فلما قرأها المكتوبجي استشاط غيظاً وقال من هو بولس القليل الادب الخائن الكافر الذي تجاسر ان يشتم اهل غلطة " وهو قسم من اقسام الاستانة "

Digitized by Google

٢٣ خالد

لما توفيت المرحومة زوجة المرحوم سعاد تلو يوسف بك مطران في القاهرة تلك الميتة المحزنة نشرت جريدة لسان الحال رسالة من القاهرة في وصف الفاجعة وصدَّرها الكاتب بهذين البيتين

لابدَّ من فقدٍ ومن فاقد فليس بين الناس من خالدِ
كن المعزَّى لا المعزَّى بهِ ان كان لابدَّ من الواحدِ

فحذف المكتوبجي كلمة خالد من قافية البيت الاول واستبدلها بكلمة (طائد) فقلت لهُ لماذا فعلت ذلك قال · اسم والي بيروت (خالد) قلت نعم وماذا · قال لايجوز ايراد اسم الوالي في سبيل الحزن والتعزية · قلت الامر لسعادتكم ولكن ما هو معنى (طائد) قال «ثابت» قلت وما هو اصلها قال من الطود. ولله درهُ ما اقدره على الاشتقافات اللغوية في امثال تلك المواضع فضحكت وخرجت وهكذا انتشر البيت المذكور على هذه العلة الخبيثة

٢٤ ـ مُكْدَرا

لما قتل المسيو كارنو رئيس جمهورية فرنسا كتبتُ مقالة في صدر الجريدة التي كنتُ احررها في بيروت ضمنتها تعزية الامة الفرنساوية على مصابها وافتتحتها ببيتين للشاعر الاخرس الشهير قال في البيت الثاني

وانَّ الليالي لم تزل بورودها تسلُّ علينا بالاهلة خنجرا

فجمد الدم في عروق المكتوبجي وحذف (خنجرًا) واستبدلها بخط يدهِ بكلمة «مُكْدَرا» وقصد من الكلمة ان لا يرد ذكر القتل والخناجر في وصف موت الرجل او قتلهِ

Digitized by Google